

مقال عن الجهل

للدكتور حامد طاهر

---

ما زلت أتذكر ذلك المقال الذى سبق أن نشره

الكاتب الكبير أحمد حسن الزيات

فى مجلة الرسالة بتاريخ (23أكتوبر 1939)

عن الجهل والمفقر والمريض

باعتبارها عوامل النخر الثلاثة

التي تهدد كيان الأمم ،

وتخفق روح المجتمعات .

وقد قرأته فى نهاية المستينات

وما زال عالقا بذهنى حتى اليوم

---

وعلى الرغم من تباعد الزمن

وكثرة المشواغل والتجارب والمشاهدات ،

فما زلت مقتنعا بأن ثالوث :

الجهل والفقر والمرض

هو الذى يمثل أعتى التحديات

أمام أى حكومة ، وفى وجه أى إصلاح .

---

لكننى حين أتأمل فى عناصر هذا المثلوث

أجد أنه يشبه قاطرة يمثل رأسها : الجهل ،

وتمثل العربيتان المسحوبتان خلفها

كلا من : الفقير ، والمرضى .

فلا شك أن الجهل

هو الذى يعمى العقل

عن تدبر أمر الثروة ،

وكيفية استخراجها واستثمارها ،

ولهذا يسود الفقير

الذى يرتبط بالعوز والتكاسل

والاكتفاء بأقل القليل ،

أما المرضى الناتج عما سبق

فهو الذى يأتى على صحة الأفراد فيضعفها

وعلى نشاطهم فيخدمه

وعلى حركتهم فيصيبها بالشلل المتام .

---

فما هو الجهل ؟

إنه حالة سلبية أو عدمية

يسقط فيها العقل فلا يعلم ،

ولما يتطلع للعلم .

وإذا كان العلم يتطلب جهدا بشريا ومشقة

فإن الجهل يتمرغ فى الراحة

وهو عبارة عن انتكاس ذهنى يركن للتقليد ،

ويرفض المبادرة ، ويستعصى على التغيير ،

كما يأبى التطور والتجديد .

والواقع أننا إذا حاولنا تقسيم العالم

إلى دول متقدمة ، ودول متخلفة

أو كما نسميها على سبيل الإشفاق : زامية

فإن المزارق الأساسى بينهما

يكمن فى اختيار طريق العلم ،

وكسر قيود الجهل .

ولما يتعلل أحد بأن المتخلف يرجع

إلى عوامل خارجية كالطقس أو البيئة ..

فإن كثيرا من الدول المتقدمة

تعيش فى طقس قاس ، وبيئة أشد قسوة

وبالرغم من ذلك

استطاعت أن تتغلب عليهما بالمعلم وتطبيقاته

(سويسرا بيئة جليدية شديدة الوعورة

ومع ذلك تقدمت فى صناعة الساعات وإدارة البنوك)

(واليابان لنا توجد فى أرضها مواد أولية

ومع ذلك فإنها تستوردتها من كل بلاد العالم

ثم تقوم بتصنعها بأعلى المواصفات وتعيد تصديرها).

---

والسؤال الآن : هل يمكن التغلب على الجهل ؟

أجل ، وبكل تأكيد .

وهو ليس مستحيلا ، لكنه صعب

كيف ؟

المبدئية بضرورة محو الأمية ،

ثم دفع الشباب إلى استخدام لغة العصر

ووسائله الحديثة ،

ونشر الثقافة العلمية فى كل ربوع البلاد

واكتساح كل مظاهر الجهل ،

وأسبابه المستقرة منذ مئات السنين :

(كانت جداتنا يعالجن ألم عيون الأطفال

بمسحوق أبيض حارق يسمى : الشيشم

وكثيرا ما أصاب هؤلاء الأطفال المساكين بالعمى

ومن أشهرهم : طه حسين ..

وما زلنا نشاهد فى الأحياء الشعبية

إقامة حفلات المزار للنساء

اللاتى يشعرون باضطرابات نفسية ،

بدلا من معالجتهم لدى طبيب نفسى ..

وما زالت مدارسنا وجامعاتنا

تختبر قدرة الطلبة على التحصيل بالمحفظ ،

وليس بالمهارة اليدوية وحسن التصرف ..

وما زال الفلاح المصرى يشغّل الحيوانات فى الحقل

بدلا من الآلات المزارعية ..

وما زلنا نهدر الوقت فيما لا يفيد ،

ولما نحترم مواعيدنا ..

وما زلنا نتكلم كثيرا ولما نعمل إلما قليلا..

تلك فقط بعض مظاهر الجهل ،

ذكرتها عفو الخاطر

لكننى أؤكد أن للجهل جيوشا

أشد شراسة من جيوش الأعداء

ولذلك ينبغى التصدى لها بكل قوة وعزيمة

وألما نترك للعلم بابا إلما طرقتاه ،

ولما للمبادرات الناجحة تجربة إلما خضناها

وأن ننظر بكل التقدير والاحترام

لكل من يضيف إلما حياتنا شيئا جديدا

أو يمنع عنها هواء فاسدا

والخلاصة أن قاطرة الجهل لو تم رفعها

لتوقفت العربيتان اللتان تجرهما

وهما : الفقير والمرض .

---

بعض ما قالته الشعوب عن الجهل :

كل ما نجهله نعتبره من الأعاجيب — مثل لاتيني

الذى يعيش فى الجحيم (الجهل)

لا يعلم أن السماء موجودة — مثل إنجليزى

الذى يجهل أن سريره خشن

ينام جيدا .. — مثل دنمركى

الجهل يشيخ مثل الثور :

فتكثر دهنه ، ويضمّر عقله — سنسكريتي

لا يوجد أفقر من الجهل — مثل عبري

الجهل هو ليل العقل ،

لكنه بدون قمر ولما نجوم — مثل صيني

الذي لم يبين منزلا يظن

أن الجدران خرجت من الأرض — مثل أستوني

الجهل هو أم كل الشرور — مثل فرنسي

الجهل العميق هو الذي يولّد

المعتقد الأعمى — مثل فرنسي

الذي يعترف بجهله يظهره مرة واحدة

والذي لا يعترف به يظهره عدة مرات مثل ياباني

---